المقتطف

الجزء السادس من المجلد الثاني والثلاثين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٧ — الموافق ٢٠ ربيع الثاني سنة ١٣٢٥

لورد كرومر

ليس غرضنا من هذه السطور ترجمة لورد كرومر وذكر اخلاقهِ ومزاياهُ التي امتاز بها وارائهِ السياسية واشغالهِ الادبية التي حاز بها قصب السبق على رجال السياسة في هذا العصر لان هذا الموضوع يقتضي كتاباً كبيراً . ولا غرضنا ان نستقصي ما عمل من الاعمال التي رقت مصر واوصلتها الى ما وصلت اليهِ الآن لان هذا الموضوع اوسع من الاول ولتقارير لورد كرومر السنوية تكفل بيانهِ والذين يبصرون ويسمعون ويقابلون بين الماضي والحاضر يعرفون اكثر هذه الاعمال وتتائجها سواء اعترفوا بها او لم يعترفوا . وانما غرضنا ان ننظر نظرة عامة الى حال القطر المصري قبل الاحتلال وحالهِ الان ونقابل بين الحالين من بعض الوجوه الجوهرية التي لاشبهة في انهُ كان للورد كرومر اليد الطولى في تغييرها ثم نستطرد الى دواعي القطر المصري

زرنا هذا القطر قبيل الثورة العرابية ولقينا كثيرين من نوابغ رجالهِ حينئذٍ وتكرم الجناب الخديوي المغفور لهُ توفيق باشا بمقابلتنا كما قابلنا نظار حكومتهِ رياض باشا ومصطفى باشا وشريف باشا وعلي باشا مبارك ومحمود باشا سامي وتحدثنا معهم ملياً في احوال القطر المصري والقطر السوري وكثر اجتماعنا بالمرحوم الشيخ محمد عبده واصدقائهِ في الايام القليلة التي قضيناها في هذه العاصمة . ثم خرجنا من القطر المصري وقد رسخ في ذهننا مما رأيناهُ فيهِ وسمعناهُ من نخبة رجالهِ ان الضغط على النفوس بلغ اقصاهُ فكادت تنفرق وتنفجر انفجاراً لان الاسراف السابق ترك البلاد في العسر الشديد مديونة بمئة مليون من الجنيهات لم يصلها منها النصف ولم ينفق فيها مما وصلها العشر وهي مقطرة ان تحمل عبئها وتوفي رباها عدا الدين الاهلي الباهظ الذي اثقل كاهل الاهلين . واجود الاطيان قد خرج من ايدي مالكيهِ قسراً فصاروا أجراء فيهِ . وظهر الفرق حينئذٍ بين مصر والشام كظهور الآن ولكنهُ كان معكوساً

كانت بلاد الشام ممتعة بالمعدن تخاصر في سبيل الارتقاء مطلقة القلم واللسان تجيّر اقلام الاحرار جرائدهم وترسّخ السنة خطباء منابرها. ومصر بلاد النسيم والضغط يحاول نفر من اهاليها اخراجها مما في يدٍ فيجدونها مقيدة بالمتاكل المالية والامتيازات الاجنبية ويجدون جمهور الامة في حضيض الذل والعسر. ولحظنا حينئذٍ ان جماعة من الاقاتين يحاولون اضرام نار الثورة في نفوس ذلك النفر القليل من المتنورين ويغرونهم بما يتعذّر نيلهُ فتجمعت الاسباب وولدت الثورة

وقد يركب الخطب الذي هو قاتل اذا لم يكن الاّ عليهِ معرّجُ

وانت الجيوش الانكليزية فاخمدت الثورة واحتلت البلاد. وكان في الامكان ان تخرج منها بعد استتباب الامن ومعاقبة الثائرين وحل الجيش المصري وكان في الامكان ان تبقى فيها ولا تحرك يدًا في اصلاحها تتكل على ما كانت عليهِ او تزيد تأخرًا فلا تكون الآن اصلح من بلاد الشام كما لم تكن اصلح منها قبل الثورة لان اهاليها ليسوا اعلى همة ولا اشد عزيمة من اهالي الشام ولا هم اعلى همة من العرب القديم سكان اليمن والحجاز وحالهم الآن معلوم لكن قدّر الله ان وكيل الدولة المحتلة اهتمّ باصلاح البلاد بميل فطري فيهِ وايدتهُ دولتهُ في ما كان يرتئيهِ وقدّر ايضًا ان الذين عليهم الاعتماد من رجال الحكومة وطنيين كانوا او غير وطنيين جاروهُ في هذا المضمار فتغلبوا على المتاكل السياسية والمصاعب الطبيعية والآفات الجوية ورقوا البلاد هذا الرقيّ الذي لم تزدهُ في عصر من عصورها السالفة

وضعت بعض الدول العراقيل في سبيلهم فلم تعتبهم بل تغلبوا عليها وحولوا الجفاء الى صفاء. ثار السودان واستحلت الثورة فيهِ فخرّبت البلاد واهلكت العباد وتهددت مصر وكاد لسانها يتدلع اليها وضنّت محاكم مصر بخمس مئة الف جنيه تستخدم لانقاذ السودان ولكن صبر كرومر وهمة كتشنر وبسالة الجنود وقوادهم استردت السودان ورودتهُ الى معالم الحضارة

قصّر النيل عن الوفاء كما جرت عادتهُ في السنين الغابرة وبالغ في التقصير ولكن تقصيرهُ لم يفضِ الى جدب ومجاعة كما اتفق في زمن يوسف الصديق وعبد اللطيف البغدادي لان حكمة كرومر ورجالهِ كانت اعدت العدة لهذا الشح ببناء الخزان الذي قاومهُ كل صاحب قلم من مدعي الوطنية كما قاوموا قبل ذلك اصلاح القناطر الخيرية. وتكرر مجيء الطاعون والكوليرا ووباء المواشي ونوع الدودة والندوة في القطن وكل بلية من هذه ابلايا كانت تكفي لاتلاف مصالح العباد ومعايشهم ولكن الاستعداد لطوارق الحدثان تغلّب عليها فذهبت ولم توقع بالبلاد ضررًا يذكر او ازين ضررها سريعًا بالمنشآت والمقويات التي اشار بها طبيب القطر ورجالهُ

وقد يظن غير المطلع على اعمال لورد كرومر انهُ كان ينظر في الكليات ويغضي عن

الجزئيات كما كثر الرجال العظام اما الواقفون على اعماله فيعلمون انهُ كان ينظر في الكليات وفي الجزئيات ايضاً ولا سيما في ما يمثل مبدأً. بلغهُ مرةً ان مستخدماً صغيراً عُزل من غير محاكمة ثبت عليهِ ذنباً يوجب عزلهُ فقال هذا استبداد يجب نزعهُ من البلاد واشتغل بامر هذا الرجل كأن مسألتهُ من المسائل الدولية العظيمة حتى رسخ في اذهان ارباب الامر الذين تعلقت المسألة بهم انهُ ما دام الاحتلال مؤيداً فلا يمكن ان يجتمع بما فيهِ اثر للاستبداد

واطلع مرةً على تلغراف في جريدة يشكو صاحبهُ من انقطاع ماء الري عن قطنهِ في غير الميعاد ولغير سبب فطلب من مصلحة الري تحقيق ذلك حالاً ولما اتضح لهُ صدق الشكوى لامها لوماً عنيفاً ورفع ظلامة الشاكي

ويسهل ذكر المئات والالوف من امثال هاتين الحادثتين وكلها تدل على تفانيهِ في انصاف المظلومين وتوسيع معايش الناس لانهُ كان يعلم ان العدل في الرعية والاهتمام بمصالحها فرضان واجبان على اولياء الامور على حدٍّ سوى واذا كانا مقامين في البلاد فالعوارض والاحداث تجيء وتذهب كنسمة صيف

ويعلم ان المال قوام كل اصلاح والسبيل اليهِ توسيع مواردهِ والاقتصاد في انفاقهِ. وقد بذل جهدهُ هو وكل رجال الحكومة الذين اتبعوا سياستهُ في اصلاح موارد الرزق وزيادة ريع البلاد وفي الضن بالمال الاَّ على ما لابدَّ منهُ من النفقات. وحسبنا النتيجة التي نتجت عن ذلك وهي انهُ تضاعف دخل الاهلين نصفين او ثلاثة كما تشهد قيمة الصادر والوارد وتضاعف دخل الحكومة ايضاً بعد ان كانت البلاد والحكومة على شفا الافلاس. ومن شاء الاطلاع على تفاصيل ذلك فعليهِ بمراجعة الفصل الذي موضوعهُ السياسة المالية في تقريرهِ عن ١٩٠١ وقد نشر في المجلد ٢٨ من المقتطف تحت عنوان اصلاح القطر المصري

وجرى ارتقاء البلاد الادبي مع هذا الارتقاء المادي فعلم الناس ما لهم وما عليهم واهتموا بتعليم اولادهم واصلاح شؤونهم وغاية ما نرجوهُ ان يستمرَّ هذا الاهتمام حتى يبلغ غايتهُ

الاَّ ان الاشتغال بمهام الامة زماناً طويلاً يضني اصح الاجسام واقواها بنية ولذلك استحكم السقم من جسم لورد كرومر هذا الشتاء فاوجب عليهِ اطباؤهُ اعتزال الاشغال فاعتزل كما ذكرنا في الجزء الماضي وودعهُ اهالي القطر في الاوبرا الخديوية توديع عارف يقدر وذاكر لجميلهِ وخطب في حفلة الوداع عطوفتلو مصطفى باشا فهمي رئيس النظار نيابة عن الوطنيين وجناب الكونت ده سربون نيابة عن الاجانب فاجابهما لورد كرومر بخطبة نفيسة استهلها بفقرات فرنسوية اجاب بها الكونت ده سربون ثم تكلم بالانكليزية فقال ما تعريبهُ

" ارجو ان تقابلوا اقوالي بالحلم والاغضاء فان خطابي هذا يكلفني جهداً عظيماً جسدياً وادبياً . اما جسدياً فلانهُ يلزمني ان اجمع قوتي كلها لاخطب عليكم واما ادبياً فلأن اللطف الذي غمرني به الناس على اختلاف طبقاتهم في الاسبوع الذي فات قد غلبني وحملني جميلاً كثيراً ولاني اشعر بألم الحزن الشديد في نفسي على فراق هذه البلاد التي لي فيها اصدقاء كثيرون وبها لقيت كل الحوادث التي حدثت لي في خدمتي العمومية وكذلك الافراح والاتراح التي اصابتني في حياتي المنزلية ومعيشتي العائلية مدة جيل تقريباً

(اسباب مفارقته هذا القطر)

" اني لا افارق هذا القطر ايها السادة لاسباب سياسية وانما افارقهُ لان يد الدهر ابتدأت تثقل عليَّ ولاني بعد ما قضيت في الخدمة العمومية نحو نصف قرن كنت في اكثره اكدُّ كداً واعدو عدواً يحق لي الآن ان انال نصيبي من الراحة . ولاني اشعر ايضاً ان المهام والمصالح العظيمة التي يطلب من وكيل الدولة البريطانية السهر عليها في هذا القطر يكون السهر عليها الآن اوفى واتم اذا عُيِّن لها من هو اصغر سناً وفي ابان قوته ونشاطه عقلاً وجسداً "

ثم اشار الى الذين كان لهم اليد الطولى في مساعدته فذكر المغفور لهُ الخديوي توفيق باشا والمرحوم نوبار باشا ودولتلو رياض باشا وعطوفتلو مصطفى باشا فهمي واصحاب السعادة بطرس باشا غالي وسعد باشا زغلول والسر كولن مكوت مكريف والسر وليم جارستن والمسيو مسبرو والسر رجينلد ونجت باشا الى ان قال

" فبمساعدة الذين ذكرتهم ومساعدة كثيرين غيرهم اظن اننا عملنا عملاً غير رديء في ربع قرن من الزمن وان يكن فيهِ ما فيهِ من القصور والتقصير ولكن يقول لي قوم كثيرون ان المصريين بوجه الاجمال لا يعترفون كثيراً بالجميل وبالمنافع والفوائد التي لا شك في انها صُحبت لهم فاجيب على ذلك اني لا اعرف ما يشعر بهِ المصريون من هذا القبيل ولكن فيلسوفاً فرنسوياً قال قولاً اورد معناهُ ولست اجزم باقتباس مبناهُ قال اذا قاسى شعب آلام الظلم والضيم طويلاً لم يكد يبقى لهُ طاقة على شكر الذين يخلصونهُ منها

" ولا ريب ان اهل مصر قاسوا كثيراً في ماضي زمانهم ومهما كان شعور المصريين وكانت حاساتهم ومهما برهن لي المبرهنون واقاموا عليَّ الحجة والدليل فلست بتاركهم يحجونني ليخرجوني من الوهم الشريف الذي انا فيهِ ان صحَّ انهُ وهم لا حقيقة واعني بذلك انهُ لا يمكن ان اصدق ان المصريين — او اعنيهم على كل حال — ينكرون ان يد التمدن الغربي التي كانت تستعملها انكلترا تعمل عملها في الخمس والعشرين سنة الماضية هي التي نشلتهم من بالوعة

اليأس بعدما التام دهرهم فيها. وهب اني أقنعت — وما انا بمقتنع مطلقاً — ان ابناء الجيل الحاضر لا يعترفون بهذه الحقيقة الجلية فاني لا ازال اؤمل مع ذلك ان نسلهم يعترف بها

(الغرض السياسي)

" ايها السادة لما اتيت هذه الديار لاتقلد وظيفتي الحالية فيها وضعت نصب عيني غرضين وجعلت اسعى اليهما دواماً مدة اعوام طويلة احدهما سياسي والآخر اداري

" فالغرض السياسي الذي وضعتهُ نصب عيني هو ان اكون من جملة المساعدين على اعادة ذلك الاتفاق الذي قضت الاحوال بعقدهِ بين فرنسا وانكلترا "

ثم اخذ في ما بذل من السعي لاعادة الاتفاق الى ان قال —

" ولستُ ادعي اني كنت من اشهر واضعي ذلك الاتفاق بل اعترف ان الفضل في عقدهِ كان لارباب السياسة المتولين زمام الامور الخارجيَّة يومئذٍ في باريس ولندن وربما جاز لي من غير ان اسئ واجب الاكرام والاحترام ان اضيف اليهم مليكنا السامي الذهن العظيم المواهب العقلية الذي نلت الفخر والامتياز بخدمتهِ السنيَّة (تصفيق) ولكن يسوغ لي ان اقول ان الجهد المتواصل الذي بذلهُ أولو الشأن في مصر مدة اعوام طويلة لاجتناب كل ما يمكن اجتنابهُ من المنازعات ولفض كل الدعاوي والشكاوي الصغيرة التي نتجت عن احتلال بريطانيا العظمى لمصر — هذا كلهُ مهد طريق الاتفاق وسهل الامر على المتفاوضين فيهِ

(الغرض الاداري)

"واتكلم الآن عن الغرض الاداري الذي وضعتهُ نصب عيني فاقول اني سعيت في هذه الايام لنفعٍ ولغوٍ كثيرًا عن ان حكومة مصر حكومة مستبدة ظالمة. فلا يهمني ان اطيل في الرد على مثل هذا الكلام بالتطويل بل اقول اني افرغت جهدي مدة خدمتي كلها بمصر في بث روح الحرية في نظام حكومة اقتضت الضرورة ان تكون حكومة " بيروقراطية " ولكني لم ادخر وسعاً في الاطلاع على حقيقة الرأي العام سواء كان اوربياً او محلياً واعطائهِ حقهُ من الاعتبار والاهتمام وحسبي ان اترك لغيري الحكم في مقدار نجاحي من هذا القبيل

(الارتقاء الادبي والعقلي)

"ثم التفتُ الى امر آخر وهو اني اسمع قوماً يقولون ان مصر ارتقت ارتقاء مادياً عجيباً في الاعوام الاخيرة ولكن لم يعمل فيها شيء لترقية اهلها ادبياً وعقلياً . عجباً ايها السادة كيف يقال ان مصر لم ترتقِ ادبياً ؟ هل الحكم فيها اليوم للكرباج وحدهُ كما كان في الايام الغابرة؟ هل السخرة (العونة) باقية فيها ولم تطوِ الايام عليها ؟ هل لعنة الرق لا تزال حالَّة عليها ولم

تزل عنها ؟ اليس كل شخص فيها من الامير الى الصعلوك الحقير سواء امام القانون ؟ الم يشتط الناس فيها الى السعي والكسب ؟ اليس اصغر الناس فيها يجنون اليوم ثمار سعيهم ويتمتعون بما يحصلونهُ بعرق جبينهم ؟ اليس من الحقائق المقررة ان العدالة لا تشترى وتباع اليوم وان كل انسان حرٌّ — بل ربما قلنا قوم انهُ حرٌّ اكثر مما يجب ان يكون — في المجاهرة بآرائهِ والتعبير عما في ضميرهِ . وان سلطان "الجخشيش" قد ثلَّ عرشهُ وعزل عن مقاماتهِ العليا في الحكومة ولم يبقَ لهُ اثر الاَّ في اخرياتها وضواحيها وان ماء النيل الذي يجبي الاراضي ويأتيها بالخصب يوزع على الامير الحقير والفلاح الفقير بالقسط والعدل . وان المرضى يمرَّضون ويعالجون الآن في مستشفيات مستكملة العدد ووسائط الراحة . وان المجرمين والجانين لا يعاملون الآن معاملة الوحوش الضارية حتى الحيوان الاعجم لم يفت الرفق بهِ عناية المصلحين . وان اشتراك الحكام والمحكومين في المصالح اصبح امرًا مقررًا عند الفريقين قولاً وفعلاً . وان كل عمل تعملهُ الادارة وان كان خطاء — اذ العصمة لله وحدهُ — تكون آثار حسن القصد بادية عليهِ ورغبة الحكومة في خير الاهالي ظاهرة منهُ . وان الاموال التي تؤخذ من جيوب الذين يدفعون الضرائب والتي قلَّت كثيرًا عما كانت عليهِ تصرف الآن في الوجوه النافعة للبلاد بعد ما كان معظمها يصرف على بناء قصور لا منفعة لها ونحو ذلك من الامور التي لم تكن تهم السكان بوجه من الوجوه . فان كانت هذه الامور كلها وكان غيرها مما يمكنني ان اذكر منهُ كثيرًا لا تعد ترقية ادبية فالحق يقال اني لا اعلم بعد ذلك ما المراد من قولهم آداب واديبات (تصفيق طويل وهتاف شديد) .

(تعليم البنات)

"ولكن يقول قوم ان عقول المصريين وآدابهم لم ترتقِ . فانكر هذا القول ايضًا انكارًا باتًّا "انظروا الى تعليم البنات فهل يظن عاقل انهُ يمكن لهذه البلاد ان تتشرب روح التمدن الحقيقي ما دام مقام المرأة غير متغير فيها ان كان احد يظن ذلك فاني اخالفهُ في ظنهِ كل المخالفة . ومع ذلك فانهُ منذ بضع سنين — والعهد غير بعيد — لم يكن احد يهتم بهذه المسألة غير صديقي سعادة يعقوب باشا ارتين وعزتلو قاسم بك امين وآخرين قليلين واما بقية الاهالي فلم يكونوا يبالون بذلك بل انهم كانوا ضدهُ فانظروا التغيير الذي حصل الآن لم يبقَ عند الحكومة المصرية مدارس تسع كل البنات اللواتي يروم والدوهن تعليمهن"

(التعليم الابتدائي)

"وانظروا ايضًا الى التعليم الابتدائي فان النظام الذي كان متبعًا قبل الاحتلال البريطاني

لم يكن يصلح لشيء ثم تغير ذلك ايضاً تغيراً عظيماً لان الكتاتيب تنشأ في كل جهة من جهات القطر بعناية كثيرين من اعيان المستنيرين. وقد ابتدأت حركة اخرى تستحق الذكر لتعليم الصنائع للاهلين

(التعليم العالي)

" اما تعليم العلوم العالية واعني بها الحقوق والطب والهندسة وما شاكل فالتقدم فيها كلها مستمر مطرد منذ اعوام

" نعم انهُ لو تيسر للحكومة المال الوافر منذ عشرين سنة لكان قد تمّ اكثر مما تمّ الآن كثيراً ولكن عقدة القضية المصرية ان المال الذي كان للحكومة سبيل اليهِ لم يكن وافراً بل لم يكد يكون كافياً مدة اعوام كثيرة لسدّ حاجاتها الضرورية

" على اني لا انكر ان البلاد لا تزال مفتقرة الى تقدم كثير ادبياً وعقلياً وانا واثق ان المعارف ستتقدم وترتقي سريعاً على يد ناظر المعارف الحالي وجناب المستر دنلوب مستشاره

واشار الى ما ينتظر من الجناب الخديوي من اصلاح ديوان الاوقاف والمحاكم الشرعية وقال

" اخاف ان اكون قد اتعبتكم ايها السادة بطول الكلام ولكن كل ما قلتهُ كان عن الماضي فاذا تكرمتم عليّ بالاصغاء فاني اقول شيئاً عن المستقبل

"ما هي حقائق الحالة المصرية الآن: اولاها في ان الاحتلال البريطاني يدوم الى ما شاء الله وقد قالت لنا حكومة جلالة الملك ذلك رسمياً . وثانيتها هي انهُ ما دام الاحتلال باقياً فالحكومة البريطانية تكون بالضرورة مسؤولة عن الخطة التي تجري عليها الادارة المصرية لا تفصيلاً بل اجمالاً . ولا يكن عند احد اقل ريب في هذه الحقيقة الثانية . والنتيجة التي استنتجها من هاتين المقدمتين هي ان نظام الحكومة الحالي دائم رغماً عمّا يعتريهِ من العيوب والشواذ الكثيرة التي لا يعترف بها احد اكثر مني واظن انهُ ليس في الناس من هو اقدر على ضمان الدوام لهذا النظام من جناب السر الدن غورست خلفي المقتدر البارع

"بقي لي نصيحة اخرى احب ان اقولها قبل ان اجلس في مكاني وهي ان قولهم « الاتحاد قوة » لا يصدق على الذين هم في خدمة الحكومة فقط بل على جميع الذين يهمهم ادخال التمدن الحقيقي الى هذه البلاد . فالواجب عليهم ان يتحدوا معاً ولا اعني بذلك ان الانكليز والفرنسويين والالمان وسائر الاوربيين فقط يطرحون عنهم ما بينهم من المناظرة والمنافسة ويتحدون معاً في مصلحة واحدة بل ان جميع الذين يريدون ان تكون الحكومة حكومة عقل وان يكون تقدم البلاد مستمرًا دائمًا يتحدون جميعهم معاً سواء كانوا مسلمين او مسيحيين

اوربيين او افريشيين او اسيويين ويقاومون القوات المجاهدة في سبيل التأخر والتقهقر حقيقة سواء كان جهادها عن جهل او عن عمد وقصد

"واشكركم ايها السادة في الختام على اصغائكم اليّ بالصبر وطول الاناة هذه المدة التي قلت فيها كل ما اردت قوله ولا شك عندي ان الصعوبات لا تزال كثيرة في سبيل المصلح المصري وخصوصاً المصريين الذين غورست ولكن آخر كلمة اقولها لكم وكلكم في كلة كان عبّاد الاصنام ايزيس في هذه البلاد كثيراً ما ينقشونها على قبورهم بلغة القوم الذين هم اصل التمدن الاوربي والذين استوطن اناس كثيرون من ذريتهم هذه البلاد خيرها والذين اعد منهم اصدقاء كثيرين لي — واعني بها لغة اليونان — ومعنى تلك اللفظة اليونانية تشجعوا (تصفيق)

" فاودعكم ايها السادة وانا واثق ثقة تامة بمستقبل هذه البلاد التي كانت موطناً لي سنين هذا عددها والتي تأصلت جراثيم التمدن الحقيقي فيها على ما ارجو حتى صار يعسر استئصالها . اودعكم على الكره مني واستودعكم الله " (تصفيق طويل وهتاف شديد متكرر)

ولم يخرج لورد كرومر من هذا القطر حتى اهدى صورتهُ الى كثيرين من اصدقائهِ والذين يعلم انهم ساعدوهُ في ترقية البلاد وكتب الى بعضهم مكاتيب شكر فكتب الى احدنا محرر هذه المجلة يقول ارجو ان تقبل صورتي المرسلة اليك طي هذا كتذكار طفيف لعلاقاتنا السابقة ومعها شكري المخلص للمساعدة الكبيرة التي ساعدتَ بها مدة سنين كثيرة الارتقاء العقلي والادبي في هذه البلاد[1] وكتب مثل ذلك الى احدنا محرر المقطم واهدى اليهِ كتاباً سياسياً من مكتبتهِ . وورد عليهِ الوف من الرسائل البرقية والبريدية من جماعات مختلفة في هذا القطر تعرب كلها عن اسف مرسليها لان انحراف صحتهِ دعاهُ الى ترك هذه البلاد وعما يشعرون بهِ من الشكر لهُ على اعمالهِ العظيمة التي رقّت القطر ادبياً ومادياً

وكان لوداعهِ في المحطة احتفال عظيم جداً ولاستقبالهِ في مدينة لندن احتفال اعظم منهُ وقف فيهِ ولي عهد انكلترا واخو ملكها حاسري الراس ووزراء الحكومة الانكليزية وقواد جيوشها وكثيرون من ذوي المقامات العالية فيها ورحبت بهِ الجرائد والمجلات الانكليزية ترحيباً يدلُّ على انها تعدهُ اعظم رجل قام في الامة الانكليزية . ولا غرابة في ذلك لان العقلاء ينظرون بعين العقل الى النتائج الحاضرة والمستقبلة ايضاً والفضل يعرفهُ ذووهُ

(1) I hope that you will accept the enclosed photograph of myself as a slight souvenir of our past relations, and with it the expression of my sincere thanks for the powerful assistance which you have rendered for so many years to the cause of intellectual enlightenment and moral development in this country.